



مروان والجمل

السلسلة القصصية

٣٩

مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل .

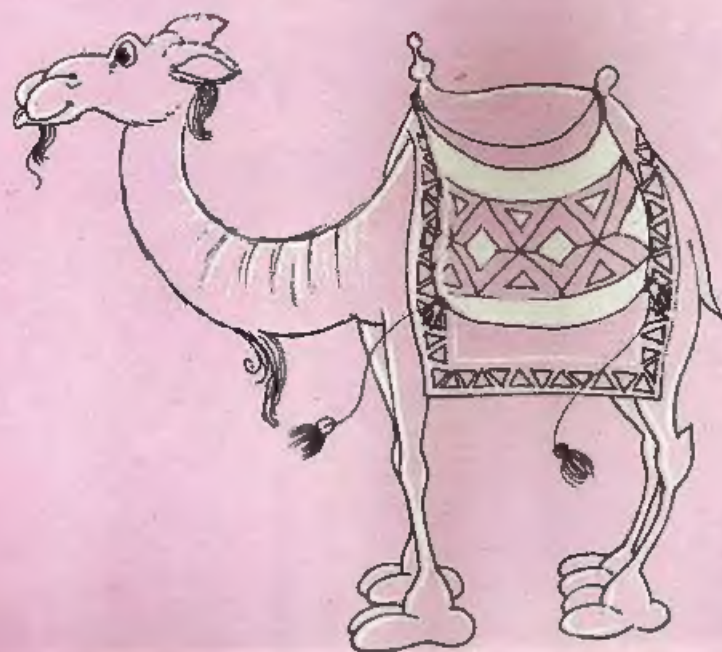
مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل .



الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والاعلام - دائرة ثقافة الاطفال - مكتبة الطفل

الناشر : دائرة ثقافة الاطفال - ص . ب ١٤١٧٦ بغداد

تم النسخ داخل العراق ١٠٠ فلس عراقي
وخارج العراق ١٥٠ فلساً عراقياً أو ما يعادلها



مروان والجمل

تأليف : شريف الراس
رسوم : عبدالشافي سيد



تسيتُ أن أشتري لمروان الخروف الذي كنتُ قد وعدته به في الأسبوع الماضي ، عندما فازَ بِمُسابقةِ الغالي الاطفال في النادي العائليِّ بِحِيننا • (مروان ، رغم أنه ما يزالُ في ميَنِّ السابعة ، يحفظُ الكثيرَ من الأغاني الشعبية القديمة التي يَرَدِّدها أطفالُ الحيِّ على أبوابِ البيوتِ في أُمُسياتِ شهرِ رمضان وفي المواسم) •

وصرتُ أراه في كلِّ يومٍ يتظرني أمامَ بابِ البيت ، عندما أهوُّ من عَمَلي ، ليأْتيني :

— آيَنَ الخروف ؟

فأقولُ : غداً يا مروان •• لقد تسيتُ • (مروان يعرفُ أنني أنسى كثيراً • حتى صارَ يعتقدُ أنَّ كلَّ الآباءِ مُصابونَ بِمرضِ النسيان • لذلك فيأنبه يقولُ : عندما أَكْبُرُ وَأَتَزَوَّجُ وأصيرُ أباً فإِنسي سأشربُ دواءً ضدَّ النسيان) •

وعندما عدتُ اليومَ الى البيتِ ، وليس عني خروف ، لم يأتني مروان : «أَيَنَ الخروف ؟» بل استقبَلَتني بِهذه الأغنية ، مُداعِباً :

تصنيقة للبابا

جاء التمر بمبايه
قَسَمَ عليهم كلهم
وأنا عزلي عنهم



ومعنى الكلام ، في هذا العناب اللطيف ، أنني أذكركم طلبات الجميع ،
وأنتى طلب مروان. لذلك قررت أن تتخذ قراراً حاسماً في هذا الموضوع ،
عندما جلسنا حول مائدة الغذاء ، أنا وهو وأمه التي تجبه مثلي وأكثر
ولكنها بعد شراء خروف ... فقلت :

— ماذا قررنا بخصوص الهدية .. هل تشتري الخروف ؟
قالت الأم : وأين نضعه إذا اشتريناه ؟

قال مروان : أنا أضعه في غرفتي .. أليس خروفي أنا ؟ .. وسوف
أكون كيف أعلمه أن لا يوسخ شيئاً في البيت . (مروان يعرف مدى
اهتمام أمه بنظافة البيت ، فهي تريد أن يظل البيت « نظيفاً مثل جوهرة
الماس » حسب تعبيرها ... وفي أميات رمضان ، عندما يقضي مع أطفال
الحى أغنية « ماجينا يا ماجينا .. جمل الكيس واعطينا » ويسألون
الى قولهم : « ليه على ليه صاحبة الدار نظيفه .. طاسه على طاسه
صاحبة الدار آلاس » قلته يقول « صاحبة الدار هذه هي أمي » .
طبعاً .. الأم العزيزة رفضت فكرة وضع الخروف في غرفة مروان .
(قبل ذلك رفضت اقتراحاً له بأن تقيم الخروف في غرفة الحمام) ..
فقلت :

— إذن ما رأيكم أن نضع الخروف فوق سطح البيت ؟
مروان ضحك بفرح عظيم . (هو يعرف أنني جاداً فيما أقول .
لأنه يعرف أنني أحب أن أشاركه هوايته وألعابه ، وأنتى لو كنت مثله
مطلقاً .. حتى أنه عندما قلت له ذات مرة : « ليتني بقيت ابن سبع
مئات » فكتر قليلاً ثم قال لي : « كأن بمقدورك أن تظل في السكة
السابعة . وهل أجبرك أحد على أن تكبر ؟ » .. فقلت له : « وماذا
أفعل إذا كبر رفاقي وقيت وحدي مطلقاً ؟ وماذا أفعل إذا جاءوا إلي بعد
عشرين سنة مثلاً وسألوني : لماذا لم تكبر ؟ .. فماذا أقول لهم ؟ » ..
اجاب مروان : قل لهم إنك نسيت) .



الأم العزيزة ، التي تحب مروان كثيراً ، رفضت فكرة وضع الخروف على
سطح البيت ، بضجة أن صوت نغائمه سوف يزعج الجيران . لأنه سيظل
يشكو : ماع .. ماع .. ماع .

فقال مروان : إذن نضعه في الحديقة . حديقة بيتنا واسعة ولها
باب عريض كافٍ لأن يدخل منه جمل . (مروان ما يزال يعتقد بأن الجمل
« أهم » من القيل بكثير . وقد سألتني ذات مرة هكذا : « أبي .. لماذا
لا نربي في حديقة بيتنا جمل ؟ » فقلت : « ألا ترى أن الجمل كبير جداً
علينا ؟ فواضع يا ولدي وأطلب جماراً مثلاً » . فقال بفرح عظيم : « ليت كان
عندي جمار صغير ، أبيض ، شعره ناعم مثل الحرير ، وأذنيه طويلتان ، وله
عينان سوداوان كبيرتان .. أبي ، سأخذ بحي حماري الصغير إلى المدرسة ..
ما رأيك ؟ » ثم إنني ، حين أغني (غزاليه غزلوك) أتغني قصبة
أو نغمة نخيل .. أليس من الأفضل أن أتغني حماري وأطارد به وأنا
أغني : (غزاليه غزلوك ؟) .



كلنا نتبع من طعام الغداء ومروان لم يأكل شيئاً .. فقالت
الأم العزيرة :

— هل سمعتم الخير المَفرَح ؟ .. قَطَّعَ جيراننا البيضاء ، التي لها
طَوَقٌ من الخَزَرِ الأحمر ، وَلَدَتِ اليوم ، وَضَعَتْ خَسَنَ قِطْطٍ صغيرة جميلة
جداً .

قلت : « هذا خَبَرٌ مُفرَحٌ فعلاً » ، ونظرتُ إلى مروان الذي ما يزالُ
يفكرُ بحلِّ المشكلة « أين نَضَعُ الخُروفَ » .. فإذا حَلَلْنَا هذه المشكلة
فلإنَّ الأمَّ العزيرة ستُحِبُّ مشكلة : « مِنْ أين نُوَقِّرُ عِلْفاً للخُروفِ ؟ » ..
فإذا حَلَلْنَا هذه المشكلة أيضاً فلإنَّ الأمَّ العزيرة ، المُرَمَّةَ بنظافة كلِّ
شيءٍ في البيتِ سوف تَقَالُنا : « وكيف تَحْتَمِ الخُروفَ ؟ » أو رُبَّمَا
تَقَالُنا « أين نجدُ حَلَقاً لتربين صوف الخُروفِ ؟ » .. حتى إنَّ مروان
قالَ لها ذاتَ مرَّةٍ : أَيُّها السيِّدة ماما .. لَمْ يَبْقَ عليك إلا أَنْ تَرْضِي
الفكرةَ بِحُجَّةٍ أنه لا يوجدُ في حَيَّا مَدْرَسَةٌ للخُرافِ .. يا سيِّدتي اطلُعي :
سأخُذُكِ معي إلى المدرسة . (مروان يرى في مدرستِهِ خيَرٌ ملجئاً لكلِّ
الحيوانات التي يَحِبُّها) .

أخيراً قال مروان : لقد وجدتُ الحِلَّ المناسب .. نَضَعُ الخُروفَ في
قَفَصٍ .. أَفَلَسْتُ أَنْتِ يا ماما لِنَ تَستَطيعي الاعتراضَ هذه المرَّةَ .
قلت : هذا اقتراحٌ متشاز .. ولكن كيف نَلْجَأُ الخُروفَ في القَفَصِ ؟
فالخُروفُ كَبِيرٌ والمَقْصَصُ صَغِيرٌ .

ضَحَكَ مروان وقال : بسيطة .. نَضَعُ الخُروفَ في قَفَصٍ أكبرَ منه .
قالت الأمُّ العزيرة : لا اطلُعي أنه توجدُ أقاصيصٌ كبيرةٌ إلى هذا الحدِّ .
أجابَ مروان : نَضَعُ واحداً .. أبي عنده كلُّ أَدَوَاتِ التِّجَارَةِ (مروان
يعتَقِدُ أنَّ مِنْ مُستَلْزَمَاتِ « الأب » أن تكونَ عنده أَدَوَاتُ تِجَارَةٍ وإلاَّ فإنه لا يكونُ
أباً . وانظُرِي أنه حين يكبُرُ ويتزَوَّجُ .. وكَم أَصَحُّ عن هذا .. خُصُوفٌ يَضَعُ
في مَقْدَمَةِ جِهَازِ البيتِ السيِّدِ مَطْرَقَةً ومِشْماراً ومِرْدَأً وعليةً مسامير) .

قلت : أَفْضَلُ مِنْ قَفَصِ الخشبِ أَنْ نَصْنَعَ قَفَصاً مِنْ قُضْبَانِ الأَلْيُومِ
المُضَلَّعة .



ضحكت الأم العزبة وقالت : والله ما عُدْتُ أعرِفُ أَيْكُمَا الطِفْلَ ؟
 أنتَ إِمْرَأَتُكَ ؟ يا رَجُلُ ماذا يَقُولُ عَنَّا النَّاسُ لو عَرَفُوا أَنَّ عِنْدَنَا
 غُرُوفًا فِي قَصْرِ كَيْسَرٍ مِنْ قُضَائِرِ الْأَلْيُسُومِ ؟

ثم التفتت إلى مروان وتابعت كلامها : يا مروان .. الناسُ اعتادوا أَنْ
 يَسِرُوا فِي مِثْلِ هَذَا الْقَصْرِ الْكَبِيرِ حَيوانًا مُفْتَرَسًا .. اسدًا مثلاً ..
 فقال مروان على الفور : أنا أَقْبَلُ بِهَذَا .. هاتوا لي اسدًا صَغِيرًا
 وأنا أَضِيكُم مِنَ الْغُرُوفِ .. هاه .. ما هِيَ حُجَّتُكُمْ الْآنَ ؟
 قلتُ : لَكِنَّ الْمَشْكَالَةَ أَنَّهُ لَا تَوْجَدُ فِي بِلَادِنَا أَسُودَ .. فِي الْمَاضِي كَانَتْ
 تَوْجَدُ عِنْدَنَا غَابَاتٌ كَثِيرَةٌ وَأَسُودٌ كَثِيرَةٌ .. أَمَّا الْآنَ فَالْحَيَوَانُ الْمَتَوَكِّلُ
 يَكْتَثِرُ فِي الْأَرْيَافِ وَالْبَوَادِي هُوَ الْجَمَلُ .. عِنْدَنَا جَمَالٌ كَثِيرَةٌ ..
 فقالتِ الأمُّ ضاحِكَةً : لَا تَتَمَذَّجْ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْجَمَالِ أَرْجُوكَ .. فَإِذَا
 كُنَّا لَمْ نَعْرِفْ كَيْفَ نَوْقَرُ قَصَمًا لَغُرُوفٍ فَكَيْفَ نَوْقَرُ قَصَمًا لَجَمَلٍ ؟
 قال مروان : لَا عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ .. هَاتُوا لِي جَمَلًا وأنا أَعْرِفُ
 كَيْفَ أَرِييَهُ .. طَوَّلَ عُمُرِي وأنا أَحْمُ بِأَنْ يَكُونَ عِنْدِي جَمَلٌ ..
 قلتُ : دَ .. وأنا كَذَلِكَ .. وَنَهَضْتُ وَغَادَرْتُ غُرْفَةَ الطَّعَامِ ، تَارِكًا مَرْوَانَ
 وَامَةً يَتَجَادَلَانِ حَوْلَ مَسْأَلَةِ الْجَمَلِ .. وَذَهَبْتُ إِلَى غُرْفَتِي لِأَتَأَمَّ .. فَأَنَا مِنْ عَادَتِي
 أَنْ أَنَامَ سَاعَةً بَعْدَ الظُّهْرِ ..
 لَكِنَّ - بِالْفِعْلِ - مَا الْمَنَاحُ مِنْ أَنَّ رُبِّي فِي يَتِيمَا يَتَمَلَّأ





كَانَ جَسَلاً رَائِعاً • مَا إِنْ رَأَيْنَا تَدْعُوهُ لِلدُّخُولِ إِلَى بَيْتِنَا حَتَّى دَخَلَ
وَهُوَ مَسْرُورٌ سَعِيدٌ • مَا أَجْمَلَ مَشْيَهُ وَمَا أَجْمَلَ رَقِيَّتَهُ الطَّوِيلَةَ وَرَأْسَهُ
الظَّرِيفَ الْمُضْحَكَ وَعَيْنَيْهِ الْوَاسِعَتَيْنِ • كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا بِسُوءِ ظَنٍّ وَكَأَنَّهُ
يَتَسَمَّى أَوْ يَضْحَكُ • (رَغْمَ أَنَّ شَفَتَهُ الثَّمَلِيَّةَ الْمُشَقَوَّةَ الَّتِي تَسَاعَدُهُ عَلَى أَكْلِ
الْأَشْوَاكِ لَا تَسَاعَدُهُ عَلَى الضَّحْكِ) •

قَالَ مَرْوَانَ : يَبْدُو لِي أَنَّ هَذَا الْجَمَلَ الطَّيِّفَ سَعِيدٌ مِثْلُنَا •
نَحْنُ إِزْدَادَتُ فَرَحِنَا عِنْدَمَا لَاحِظْنَا أَنَّ هَذَا الْجَمَلَ الظَّرِيفَ يَرْتَدِي فَوْقَ
مَنْتَاهِ الْعَالِي قَتْبِيًّا مَغَطَّى بِبَسَائِلِ بَدَوِيٍّ مُلَوَّنٍ جَمِيلٍ جِدًّا ، يَتَدَلَّى
عَلَى جَانِبَيْهِ خُرْجَانُ كَبِيرَانِ مِثْلَانِ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ لَا نَعْرِفُ مَا هِيَ •

مَا إِنْ تَمَلَّذْتُ فِي فِرَاشِي وَغَفَوْتُ وَغَرَقْتُ فِي النَّوْمِ حَتَّى وَابَتْ مَرْوَانَ
بِاتِنِي وَهُوَ يَتَسَمَّى وَيَقُولُ :
— قُمْ يَا أَيُّهَا • • • إِنْهُضْ • • • تَعَالِ انْظُرْ مَاذَا يَوْجَدُ فِي الشَّارِعِ
أَمَامَ بَابِ بَيْتِنَا • • • يَوْجَدُ جَمَلٌ عِزْلَاقٌ • • • جَمَلٌ كَبِيرٌ ضَخْمٌ لَوْ وَقَعَتْ أَنَا
فَوْقَ كَتِفَيْكَ وَمَدَدْتُ يَدَيَّ إِلَى الْأَعْلَى فَلَزَنْتِي لَا أَصِلُ إِلَى سَنَائِهِ • • • لَكِنَّهُ
وَاقِعًا وَلَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَمِشِي • • • لِأَنَّ الْبَاوَاتِ تَوَقَّعَتْ حَوْلَهُ وَاضْطَرَبَتْ بِسَبَبِهِ يَمَدًا
أَنَّ قُلُوعَ الطَّرِيقِ وَالسَّائِقُونَ مَلَأُوا الدُّنْيَا ضَجْجًا بِأَسْوَاتِ سَيَارَاتِهِمْ
وَالْجَمَلُ الْمَسْكِينُ حَائِرٌ مُضْطَرِبٌ لَا يَعْرِفُ أَيْنَ يَذْهَبُ •
قُلْتُ : وَهَلْ هَذَا سَوَّالٌ ؟ • • • تُدْخِلُهُ إِلَى حَدِيقَةِ بَيْتِنَا طَبْعًا •
وَأَسْرَعْنَا لِلزَّجَبِ بِهَذَا الضَّيْفِ الْعَزِيزِ •



مَنْ الْجَمَلُ الظَّرِيفُ فِي حَدِيقَةِ الْبَيْتِ بِكُلِّ رَصَانَةٍ وَهَدْوٍ ، دُونَ
أَنْ يَدُومَ بِإِخْفَافِهِ الضَّخْمَةَ أَيْشَةً نَيْتَةً أَزْهَابٍ فِي الْأَحْوَاضِ • بَدَلُ إِيَّاهُ لَمْ
يَقْضِمْ أَيْشَةً نَتَلَةً وَرَدَ : رَغِمَ أَنَّهُ يَحِبُّ أَنْ يَأْكُلَ الْأَشْوَكَ • وَاعْصَانُ الْوَرْدِ
مَلِيئَةٌ بِالْأَشْوَكَ • وَإِنَّا أَنْشَاخُ (أَيُّ جَلَسَ بَعْدَ أَنْ طَوَى قَوَائِمَهُ الْأَرْبَحَ
تَحْتَهُ) فِي وَسْطِ الْحَدِيقَةِ • ثُمَّ التَفَّتْ بِرَقَبَتِهِ الطَّوِيلَةِ نَحْوَ مِرْوَانَ وَلَقَعَ خَدَّهُ
مُبْتَسِماً • فَكَلَدَ مِرْوَانُ يَطِيرُ مِنَ الْفَرْحِ وَهُوَ يَقُولُ : « عُمَرِي مَا رَأَيْتُ الْفَقْرَ
مِنْ هَذَا الْجَمَلِ الظَّرِيفِ » •• ثُمَّ رَاحَ يَتَلَقَّ بِإِيْذِهِ الصَّغِيرَةَ وَيَبْسُرُ الْجَمَلَ
وَيَقُولُ : « مَا أُنْعَمُ وَبِرَّكَ يَا سَيِّدِي الْجَمْلُ » ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى وَيَقُولُ : « تَعَالَى
اَنْظُرْ مَا أُنْعَمُ وَبِرَّكَ جَمِلُنَا !! » تَعَالَى يَا أَبِى لَا تَخَفْ •• فَهَذَا جَمْلُنَا ••
أَتَمَذَّكَ قَالَ الْجَمْلُ : يَدُو لِي يَا أَبَا مِرْوَانَ أَنْتَ كَلَيْسَ وَبِالَّذِ كُنتَ مَشْغُولٌ
بِيعْضِ الْأَفْكَارِ •• لِمَاذَا لَا تَكُونُ سَعِيدًا مَسْرُورًا مِثْلَ ابْنِكَ •• لِمَاذَا
لَا تَصُودُ طُفُلًا ؟

سَأَلَتْ : وَهَلْ هَذَا مُكَنَّ يَا حَضْرَةَ الْجَمَلِ ؟

قَالَ : طَبْعًا مُكَنَّ وَمَنْ الْبَهْلُ جَدًّا أَنْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ طُفُلًا • مُنْذُ
يَدُوكَ إِلَى الْخُرْجِ •• أَقْصَدُ : أَذْخِلْ يَدَكَ فِي الْخُرْجِ الْأَيْسَرِ وَانْظُرْ مَا فِيهَا ••
مَدَدْتُ يَدِي دَاخِلَ الْخُرْجِ الْأَيْسَرِ فَوَجَدْتُ مُفَاجَأَةً مَدْمَعَةً • وَجَدْتُ
كَبِيَّةَ كَبِيرَةٍ مِنَ الْمُنْتَجَبَاتِ اللَّذِيذَةِ (آيِسُ كَرِيمٌ •• دُونَ مَرْمَةٍ •• مَوْطَلَةٌ)
فَاخْذَتْ قَرْنَ مَلْجَابٍ لِي وَتَقَرَّنَ مَلْجَابُ لِمِرْوَانَ • وَهُوَ قَرْنٌ مَصْنُوعٌ مِنَ
الْبُسْكُوتِ اللَّذِيذِ ، وَلَكِنَّهُ كَبِيرٌ جَدًّا بِحُجْمِ طَائِقَةِ فِيلٍ ، لَوْ أَنَّ الْفِيلَ يَرْتَدِي
طَائِقَةً • إِذَنْ فَلْتَقَوُّوهُ كَمَا يَحْتَوِي ذَلِكَ الْقَرْنُ مِنَ الْمَلْجَابَاتِ اللَّذِيذَةِ الْمَلْتَوَسَّةِ ،
الْمَصْنُوعَةِ مِنَ الْحَلِيبِ وَالزَّبَدَةِ وَالشُّوْكَوْلَامَةِ وَاللِّيمُونِ ، وَالْقِسْقِ •• وَرَحْنَا
فَلَقَّ هَذِهِ الْمَلْجَابَاتِ اللَّذِيذَةَ وَفَضَحَكَ ، وَتَأْكُلُهَا بِتَهَمٍّ شَدِيدٍ وَنَحْنُ نَضْحَكَ ••
حَتَّى أَنَّ وَجْهَ مِرْوَانَ سَارَّ مِثْلَ وَجْهِ مَهْرَجٍ الْمِرْكَةِ لِكَثْرَةِ مَا اصْطَبَحَ بِالْوَانِ
هَذِهِ الْكَبِيَّةَ الضَّخْمَةَ مِنَ الْمَلْجَابَاتِ •



غير أنني لاحظت شيئاً عجيباً جداً . لاحظت أنني كلما أكلت من هذه
 المثلجات صغر جسمي وقصرت قامتي . وحين اقتربت من مروان لأسأله عن
 حالتي هذه حثك صارخاً بفرح عظيم :
 - أبي لقد صِرتُ مثلي فنحن متشابهان في الطول تماماً ، بل نحن
 متشابهان في كل شيء كأننا أنت مروان وأنا مروان .
 فقلتُ له : وكيف تميّز بعضنا عن بعضنا ؟
 قال : بسيطة .. تقطف وردة حمراء وتضعها على صدر الأبرفتصبح
 علامة مميّزة



أعجبني هذا الاقتراح (مروان يتكرّر أبسط الحلول لأعظم المشاكل
 دائماً) فنظرتُ إلى غُرْسَةِ الورد لأقطف منها زهرة ، فإذ بي أراها
 وقد أصبحت شجرة عالية ، ما اضطررتُ لأن انحني إلى الخلف كثيراً حتى
 أرى أغصانها العالية . وآسفك سقط الطربوش عن رأسي .. فقلت : ولماذا
 لا نجعل الطربوش علامة مميّزة ؟
 كان مروان ما يسأل مسروراً ويقول : ما أسعدني يا أبي ؟ أجبتُ
 ما أسعدني !! طوّل عُمري وأنا أنسى ان تصبح رفيقني للعب معاً ..
 تعال لعب .



قال الجبل : لا يصوز أن تلعبا قبل أن تُفسّدا زهرة ورد الجنة .
واشار يديه الى شجرة عجيبة لم اكن قد رأيتها سابقاً . كانت أجمل
شجرة بكن أن يراها إنسان وكانت مليئة بشوع مُنحدر من الأزهار التي
تبسم بحساب . لكنّها و لفراة . لا تفوح بأيّ عطر تُرى أليس لها
رائحة ؟

قال الجبل : بن إن لي أطيّب رائحة عطرية في ابدى . وهذه شجرة ورد
الجنة . ولكن إنسان في هذا العالم شجرة منها خاصّة به وحده .
قلت : ولكنني يا حضرة الجبل لم أر في حياتي شجرة منها .
قال : بل إنك رأيت شجرتك الخاصة بك عندما كنت طفلاً رضيعاً .
ولكنك سبّتها ولم تذكر .
قال مروان : لا تؤاخذهُ يا حضرة الجبل . فأبي سبّ كثيراً .
تقدّمت من شجرة ورد الجنة . اقترت بوحشي من زهرة فيها .
الزهرة غمرت كلّ وحشي بخسان رائع . وشمنت فيها رائحة
خاصة ذكرتني بأبي الحية .
فبَسْمًا : يا أحسن رائحة الأم !!
قال مروان : الجنة تحت أقدام الأنبياء (حفظها في المدرسة) .
فقال الجبل : أحسنت يا مروان . ولأنّ أزهار هذه الشجرة تذكرُ برائحة
الأم فقد ستوعا شجرة ورد الجنة .



وكان الجمل قد وضع على عُنُقِهِ قَنَازَةً خضراء • كلَّ عَدَسَةٍ من
عَدَسَتِهَا يحجم صحن • فصار شكله طويلاً جداً • لكن المدهش حقاً
أن الدنيا كلها صارت خضراء • المصافير خضراء • والطيور خضراء •
والشمس خضراء • والبيوت التي على طرقي الشارع خضراء • أما الشارع
فإنه فقد أصبح ممهداً متقيماً وطويلاً جداً بحيث لا يمكن رؤية
نهايته • وأنا ومروان صرنا راكبين على ظهر الجمل • مروان ممسكاً بالرأس
(فهو السائق) وأنا راكبٌ خلفه وبدي فوق الطربوش حتى لا يطير • لأن
الجمل كان يجري بنا بسرعة كبيرة • دون أن يتفعل أو يتحرك • لأنه كان
ما يزال جالياً • ولكن له عند ذكبه الأربع عجالات مثل عجلات
سيارات السباق • وكان يجري بنا بسرعة هائلة كأنه صاروخ • وكلَّ سيارة
في الطريق • معها كانت سرعة • فإتينا لحق بها ثم نسبها ونحن نرى كل
شيء يسرع خلفاً • إذ لا تكاد نراه حتى يختفي بلمح البصر • وذلك من شدة
السرعة • فالتفت مروان نحوي إلى الخلف (لأنه هو السائق) وسألني : هل
أنت سعيد ؟

أجبتُه : جَدّاً • أنا سعيد جداً • • (وكنت أضغطُ يدي على
الطربوش حتى لا يطير • ولا أدري إن كان مروان قد سمع جوابي • لأن
السرعة شديدة • والكلمة التي أطق بها • قيل أن تصل إلى أُذُنِ مروان • تكون
قد صارت وراءنا) •

قال مروان : ما دمت سعيداً جداً فلماذا لا تصرخ من الفرح ؟
لماذا لا تصرخ ؟ • لماذا لا تهف : ياي • ياي • ياي • • ألم تعجبك
سرعة سيارتنا ؟ (يقصد : جملنا) هل تريد أن أزيد لك السرعة ؟
ولا أعرف كيف وصلنا إلى نهاية هذا الشارع المستقيم الطويل • •



عند نهاية شارع السباقر كانت الساحة الخجسرى قد غصت بالآلاف
الأطفال • بل يملأين الأطفال هذه الحمامة في الجو فامتلات الماء بأرابع
الطيور الجميلة • ثم راح هؤلاء الأطفال يلوحون بالأعلام والورود
والشرائط الحريفة الملونة ويمشون « يحيى الفائز » • يحيى البطل • وهم
ينظرون بإعجاب إلى مروان • وكانت وجوههم فضرة وثيابهم لطيفة
متألقة • ثم لاحظت أن في يد كل منهم كيساً ممتلئاً فيه بطاطا مقلية
كانوا يأكلونها بنهم • وكانوا يفسون قطعة البطاطا بمسحوق الطماطم
(البندورة) ويأكلون •



وعندما وصلنا الى تونس النصر ، صُفِّقَ الجميعُ بإعجابٍ وحفاة ،
وَأُطْلِفَ في الجوِّ ألعبُ نارية مدعشة .. وَرَبَّنَّ عُنُقَ الْجَمَلِ سِلَاحِينَ مِنْ
أَزْهَارِ ابْتِسَاجِ فِصَالِ لَوْنِ الدُّنْيَا بِنَفْسِجَاءِهُمْ قَدَّمُوا لَهُ مَكَاغِلَةً كَأْسًا مِنْ عَصِيرِ
الْبَرْتَقَالِ . لكنه كَأْسٌ كَبِيرٌ جَدًّا يَكْفِي لَأَن يَسْبَحَ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَطْفَالٍ وَعَشْرُ
سِكَاكٍ حِصْرَاءَ ، لِذَلِكَ فَإِنَّهُ أَتُيُوبُ الْمَصِّ كَانَ قَضِيًّا مِنَ الْقَصِيرِ بِشَدِّ عَوْدِ
الْكَهْرَاءِ . لكنَّ الْجَمَلَ ، يَدُلُّهُ مِنْ أَن يَمُتَّصَ الْعَصِيرَ بِهَذِهِ الْقَضْبَةِ ، أَكَلِ الْقَضْبَةِ
وَقَوْلُهُ شِدَا قَطْرُهُ نَحْنُ ضَلَعٌ خَسَّ .. وَبَعْدَ ذَلِكَ مَطَّ شَفَّتِيهِ وَأَخَذَهَا فِي
الْكَأْسِ وَعَبَّ الْعَصِيرَ عِبَّةً وَاحِدَةً .

أما مروان ، الذي أحرزَ هذا الانتصارَ العظيمَ في السِّبَاقِ ، فَقَدْ أَعْطَوْهُ
مَكَاغِلَةً مَدْعِشَةً جَدًّا هِيَ كَبِيرٌ كَبِيرٌ .. كَبِيرٌ جَدًّا .. ارْتِفَاعُهُ بِارْتِفَاعِ
الْمُنْذَنْجِ وَعَرْضُهُ بِمَرْضِ قَبَّةِ الْمَجْدِ . (مروانُ أَحَبَّ الْمَذْمَةَ وَأَدْعِشَةَ ارْتِفَاعِهَا
عَتَمًا صَعْدًا إِلَيْهَا مَعَ أَطْفَالِ الْحَيِّ عَشِيَّةَ لِيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ
لِيَبْحَثُوا فِي الْأَفْقِ عَنْ هَلَالِ الْعِيدِ . أَمَّا فِي أَمْسَاتِ الْأَيَّامِ الْأُولَى مِنْ
رَمَضَانَ فَإِنَّهُ عَادَةً يَغْتَنِّي مَعَهُمْ أَغْنِيَّةٌ :

مَدَا يَا طَالِمَا

صَحْنِ لِبَطَالِمَا

كَبْتَهُ عَلَى رَغِيَّةِ

صَاحِبُوا يَا لَقِيَّةِ

أَشْمَعُ ضَوْؤُ

أَنْطَقَا ضَوْؤُ

قَالَ لِمَدْفَعٍ : بَو

بَطَلِ الْعَدُو

وَكَانَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ سَأَلِي . (مَدَا يَعْنِي طَالِمَا !) .



قالَ الجبلُ السعيدُ لمروانَ المتصمِر : إفتحِ الكيسَ يا مروان .
 فقال مروانُ للكيس : « إفتحْ يا كيسُ » فافتتحَ الكيسُ الذي ارتفعَ به
 بارفعاعِ المُنذرةِ وعرضَ بهرضِ القبةِ ، وتدفقتْ منه كراتٌ زجاجيةٌ صغيرةٌ
 ما يلعبُ به الاطفالُ .. لقد تدفقتْ من الكيسِ الضخمِ سُلالٌ هائلٌ من الكراتِ
 الزجاجيةِ الجيلةِ . ملاينٌ من الكراتِ الزجاجيةِ المساءِ والبِراقَةِ : صفراءُ
 وخضراءُ وحمراءُ وبرتقاليةٌ وزرقاءُ وبِضاءُ .. وكانت تتدحرجُ وتتسَرُّجُ حتى
 ملأتِ المكانَ الى مسافاتٍ بعيدةٍ .. ومروانُ - الذي طارَ عقلُه من الفرح -
 كان يتدحرجُ فوقها مسروراً وهو يقول : ما أكثرَ ما عندي من الدُّحلِ !!
 ما أكثرَ ما عندي من الدُّحلِ !!



وكانت زوجتي المزيّنة قد حضرتْ وعلى وجهها أماراتُ الغضبِ . ولكنهما
 لم تزلْيا لأنها كانت تبحثُ عني بين الكبار ، ولم تنتبه الى أنني
 سرُّ صميراً بقامةٍ طویل . أما الطربوشُ الأحمرُ فقد خلطتهُ من رأسي
 بسرعةٍ وأحسُّه وراءَ ظهري حتى لا تكتشفني . وأتذكّرُ - لو وجدْتني -
 فإنيها سوف تعاقبُني قاتلةً :

— أين نفعُ كلِّ هذا الدُّحلِ ؟ إنَّ بيتنا كلّهُ لا يتسعُ لها .. كما
 ان غرفةَ مروان لم يسعْ فيما تُتَمَعُّ لشيءٍ ، بعد أن امتلأتْ بالشَّمْسِ
 والألعابِ والسياراتِ والقطارِ الطویل الذي يسيرُ بالكهرباءِ وكيسِ الدُّحلِ
 وكيسِ غطاءاتِ قناني العصيرِ ومُكَدِّساتِ أعدائِ مجلتي والمزمارِ .
 في تلك اللحظة حدثَ شيءٌ مُفاجيءٌ شغلَ أمَّ مروان عني .

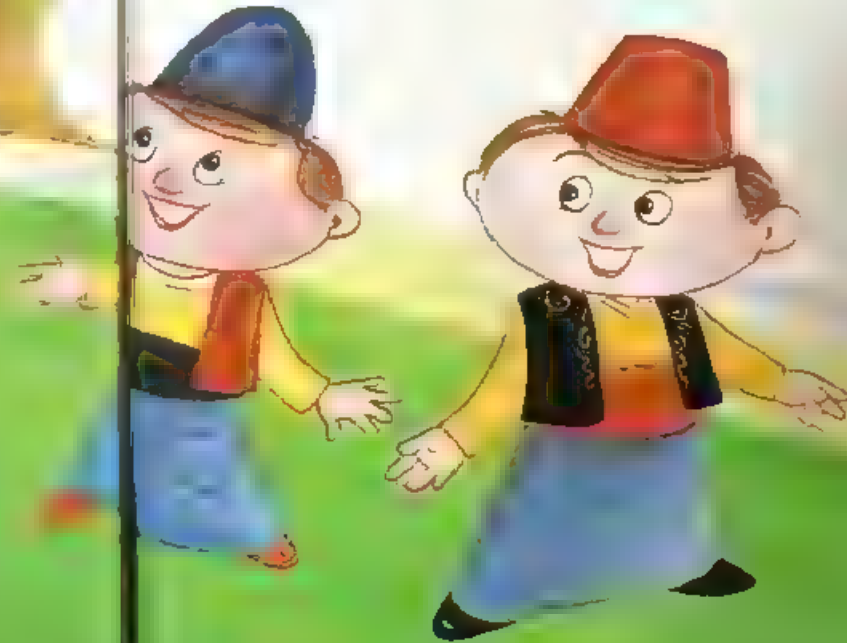


سمعنا أصوات أبواق تَزْمُرُ ملوطة • ملوطة • •

نظروا فلانًا صُفٍّ من الجند الواقفين بعضهم الى جنب بعضٍ بانتظام
فسوقٌ مُندرج المعب الكبير يشغون في أبواقٍ ذعيرة طويلة ومتعائلة • •
وهذا يعني أن احتفالاً مهماً سوف يبدأ الآن • لذلك سكت الجميع
وأفرغوا الساحة ووقفوا على المدرجات الجايئة •

آنذاك جاءت عربة جميلة جداً • تجرها أربعة خيول بيضاء • وكانت
هذه العربة تحمل صحناً كبيراً بحجم زورق يتسع لخمسين رجلاً • • وكان
هذا الصحن الذي صُنِعَ على شكل زورق مليئاً بالبطاطا المقشّة على
شكل أصابع • كل أصبح أكبر من أرب •

ولدت هذه العربة الجميلة تتقدم بكل مهابة وجلال حتى توقفت
عند المصطفى الأولى من المصالب المتدرجة التي تتصاعد حتى يتمي
أعلاها بكرسي من ذهب يجلس عليه أمير الفائزين •



ثم فتح الجنّد في الأبواب فجاءت غربة ثانية أجمل من الأولى ، تجرّها أربعة خيول شقراء ، وهي تحمل رغيفاً عليه قرص كبة شبيّ جداً . وقد تدرّب مائة هذا الرغيف الدائري الواسع بأنه يكفي لتسبّر خيمته في مئسّر للطلائع (حين أخبرت مروان بهذا الشبه - فيما بعد - صحت وقال : تصوّر لو كانت الغيام مصنوعة من الخبز بدلاً من القاش آنذاك كلّمنا جاع الإنسان فإنه يتشّل لقمة من طرف الخيمة) .

جاءت غربة « الكبة على رغيف » ووقفت عند غربة « صحن البطاطا » .

فتح الجنّد في أبوابهم الذهبية الطويلة ، فأقبلت جوفّة من الألفالو الذين يرتدون ثياباً تشبه ريش الحمام وهم يغنون بصوت واحد وجميل جداً : « طاطا يا طاطا .. صحن البطاطا .. كبة على رغيف .. صاحبوا يا لطيف .. اشتعل ضو .. اطفأ ضو .. قل المدفع : بو .. بقب املو .. »

وكانت مصاييح الملمبر الكبير تشتعل وتطفئ أثناء غناء جوقمة الألفالو وكان المدفع الكبير يطلق صوتاً مدوّياً كالرعد : بو ..

وكان الجميع يصفقون إعجاباً لهذا ايرلاج التشلي البديع الذي أمّنه الجميع لمروان احتفالاً باتصاله الكبير .

أمّا مروان ذاته فقد ترك كل شيء وجاء ليسانتي :

— ماذا يعني طاطا ؟

فقلت له :

— بدلاً من أن تشغل بهذا الموسوع اقترح أن نأخذ المكان بسرعة ، قبل أن تراسا أشك فتصادر الجنل أو تأخذ منا .

ولاحظت من بعيد أن أم مروان مشغولة عتاً بتدوير البطاطا والكبة ، وكانت مُعجّبة بما كثير ، وهي تالّ الناس كيف صنعوها كي تصنع مثلها .

(فهي - حفيظها الله - تبدّل جهدها في أن تُعيد لها أشهى المأكّل دائماً .

فبفضها مروان عندما يترك كل ما على المائدة من مأكّل شهيد ومعدية ، ويكتفي بأن « يمدّى » بزجاجير صغير) .

وهكذا ركبنا أهل ومينا .



هذه المرة راح الجمل يركض ركضاً (قال مروان : ربما نلقه منه
البنزين) . وحتى لا يوانس أحد فقد دخل بنا الجمل في منطقة مشلى
الضباب ، كأن قُبوما حصة تغطي وجه الارض . ولكنها غيوم عجيبة
في جباياها . هي غيوم ملوثة .. هذه غيمة صفراء وهذه غيمة حمراء
وهذه غيمة بلون الجزر وهذه غيمة بلون الفوخ .. والجمل الدكي
اللطيف يتر بنا بين هذه القيوم ، ونحن مسرورون جداً ومتدحشون
جداً .. إلى ان التفت تعونا برأيه الطريف - ولم تكن على صيته أية
تساؤلات - وقال لنا : لماذا لا ناكلون ؟

فسالناه : وماذا نأكل يا حضرة الجمل ؟

قال : عُيُوم .. مُدُوا أيديكم إلى هذه القيوم التي حولكم وتذوقوها .
فمد مروان يده إلى غيمة كتنا ثم بجانبها - وكان لونها أخضر -
فصاح مندهشاً :

— أبي .. هذه القيوم كلها غزل البنات (شعر البنات) .
وراح مروان يأكل من هذه العلوى اللذيذة وهو يردد باهتمام : « يا غزل
البنات .. يا سكر بنات » مقلداً صوت بائع هذه العلوى عندما ينادي على
مضاعيه .

ولكن كتلة غزل البنات التي يقدمها البائع لا يريد حبسها على
حجم كره القدم . مما كرت ، وهي هنا ككل كتلة غزل بنات بحجم
غينة .. كما انها حارة ولذيذة ولا تروق اليد لأن غيوطها الدقيقة
ناعية ومريئة مثل الحرير .. (ليت أن أقول : إن غيمة غزل البنات التي
لونها أخضر كانت بطعم النعناع) .

آنذاك دخل الجمل بنا في قلب غيمة غزل بنات لونها بنفسجي ..
لمباً حرقاً نرى كل شيء حولنا بنفسجياً . لكن ماذا كنا نرى ؟ بما أننا
نمشي في قلب الغيمة فإن كل ما نراه هو هذا الضباب البنفسجي المنعش
والتلويح .. ومن بين لمحات أضواء عظيمة وقامضة ، لأنها خلف
ضباب الغيمة . كانت تبدو لنا بشكل غامض . فسالنا أنفسنا : ترى إلى
إين ياخذ الجمل ؟



لكن ، فجأة ، هبت رياح عاصفة فطارت القيمة البهسية من
خولنا . ووجدنا أنفسنا في منطقة موحشة . لا يوجد إلا جبل عال من
هنا وجبل عال من هنا ، ونحن في قعر الوادي . وهو وادٍ ضيق جداً
بحيث لا يتسع لسرور أكثر من جمل واحد . وفي نهاية السوادي
- أمامنا - باب كبير على شكل قنطرة بين الجبلين ، ترفق الجبل ، اسم
الناخ بان طوى قوائمه الأربع وجلس . وقال لنا : « انزلوا »
فنزلنا .

قال الجبل : هذا الباب هو مخرجنا الوحيد . ولكننا لا نستطيع ان نبره
لأنه معروض من أسد عظيم .

فقال مروان : إذ ذك علينا أن نلب ذلك الأسد حتى نستطيع أن نبره .
فضعك الجبل وقال : وكيف تنبأه وأتما مقلان صغيران ؟

آنذاك تذكرت - بعد أن نسي طول هذه المدة - أنني كبرت
ولست مقلان . ولكن ماذا فعل بعد أن أصبحت يصعب مقلي منذ أن
أكلت الثلجات التي كانت في الخرج الأيسر ؟





ويدعو أن سبَّ بطريف لاحظ قلبي ، عارِضني إيسى اسئلْ باني اشرب
نحوي قائلاً : لا تفسق يا صديقي .. مُدَّ يَدَهُ لى الحُرج الأيمن
واظُرْ ما فيها .

مُدَّتْ يَدِي إلى الحُرج الأيمن فإِذَا هو ممتلئٌ بالتمر .. وأجِبْتُ
تمر ! إنه تمرٌ شهِيٌّ وقَليق ، وكلُّ تمرَةٍ مكتوبٌ عليها : « كُلُّوْنِي » .
فأَكَلْتُ أولَ تمرَةٍ فإِذَا هي محشوةٌ باللوز .. فقلتُ برور : « ما أطيبُ
هذا التمر ! » . والثمرةُ الثانيةُ محشوةٌ بالجوز ، والكثرةُ بالندق . وهكذا ..
وأنا آكلُ وآكلُ وأقول : « ما ألذُّه » .. ما أطيبه » .

وكان مروان طَوَّلَ الوقت ، بِدَلالٍ من أن يأكلَ التمرَ معي ، فظُرْتُ لَيْسَ
ودعتهُ تزدادُ بِاستمراء ، إيسى أن قالَ : أبي .. إِنَّكَ لا تعرفُ ماذا تفعلُ
بتمسك الآن .

قلت : بل أعرفُ أُنِي الآن آكلُ تمرًا شهِيًّا وبذِيذًا .
قال : ولكك لم تلاحظ ما يحدثُ لك .. إضْمَكْ تَكْبُرُ بسرعةٍ وكلَّما
أكلتَ مزيدًا من التمرِ تَكْبُرُ وتسرُ قائمُكَ وتوَدُّ إلى خِجيك الطبيعي .
فضحكك أجبلُ وقال : أبوك يا مروان صارَ يَقامتهُ الطويلةُ أعلى من
مُثَلَّة .. كيف لم تلاحظ ذلك ؟
وبالفعل ، فقد وَقَفَ الجبلُ وَمَدَّ رقبتهُ إلى فوق ، أعلى ما يستطيع ،
ثم يجلسُ وأَمْسَهُ أُنِي رُكْبَتِي .
أعجَبَنِي هذا الوضعُ فَثابرتُ على أَكْلِ التمرِ اللذيذِ ، فصاحَ مروان
بأعنى صوته :

— أبي .. لقد صرْتَ أَكْبَرَ من عَزِيَّتِ حكايةِ علاءِدين والمصباح
المحجري .

فلم أسمعَ ما قاله ، لأنَّ رَأْسِي صارَ أعلى من قِمَّةِ الجبل .. لذلك
اضْطَرَرْتُ لأنْ أنحني بِجسمي كثيرًا وأخفُضُ رَأْسِي قَدْرَ ما أستطيعُ حتى

تصبح أذنّي قريباً من مروان ، الذي صرّت أراه بحجم إصبع اليد (أما الجبل
فقد صرّت أراه بحجم أرنب) . وسالت :

— ماذا كنت تقول يا مروان ؟ إني لم اسمك . لأنّ رأسي
كان بين النجوم .

فقال : كنت أقول .. كنت أقول .. لقد نسيت .. ت .. تذكرت ..
توقّف عن أكل السرّارجوك . وإلا فإنّك ستصبح أكبر من هذا
الجبل ..

قلت : إني الآن أكبر من الجبل .. بدليل أُنسي رأيت خلف الجبل قطعة
صغيرة تركض هاربة مذعورة ..

فضحك الجبل وقال : هذه ليست قطعة صغيرة يا إيا مروان ..
إنّ ما رأيته هو الأسد .. ولكنك رأيته صغيراً هكذا بسبب مقارنتك إياه
مع ضخامة جسمك .

فقال مروان للجبل : ما دمت بهذا الذكاء إذن فخبرني عن سرّ ما جرى
لأبي حتى أكبر هكذا .

ضحك الجبل وقال : التمر يا مروان .. فالمراد المنقذية هي الوسيلة
لنمو الجسم .. والإنسان بحاجة الى الطعام حتى يتغذى جسده وينمو والتمور
من أهم المواد الغذائية النافعة .. فكفّ الحال إذا كانت - فوق ذلك - محشوة
بالجوز أو اللوز والبندق ؟

قال مروان : أمرك عجيّب يا حضرة الجبل .. إنك تتحلّت مثل أمي .
فقال الجبل : طبعاً لأنها تحبّني فهي تريد لك أن تكون قوياً تستطيع
مصارعة أسد ..

آنذاك جاءت بعوضة فحطّت على كيني .
فقلت : انظروا ما أوقع هذه البعوضة التي تحطّ على كيني .
فضحك الجبل وقال : هذه ليست بعوضة يا سيدي .. هذا نمر
أضخّ عليه .

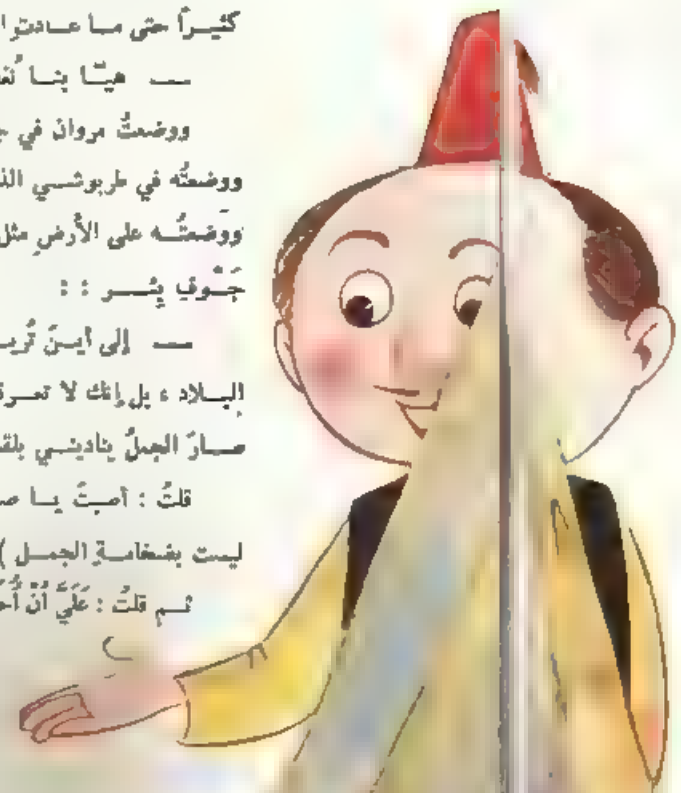
فتفتّ على النمر فسطّ عن كتفي وحلّته الرياح العاصفة ، التي خرّجت
من قمّي ، وطار بعيداً وكأنه ذرّة غبار .. فاعجبني هذا كثيراً ، وصرّرت
كثيراً حتى ما عادوا الدنيا تنسني .. فقلت :

— هيا بنا لنأخذ المكان .
ووضعت مروان في جيب ، ثم حملت الجبل كما يعقل الأرنب ،
ووضعت في طربوشي الذي صار يشعّ لعشرين جماً بعد أن قلبته
ووضعت على الأرض مثل صحن .. فقال الجبل .. وكأنه يتكلّم من
جوف بشر :

— إلى أين تريد أن تأخذنا يا سيدي ؟ فانت لا تعرف هذه
البلاد ، بل إنك لا تعرف الشمال من الجنوب . (بعد أن صرّت ضخماً
صار الجبل يناديني بلقب : سيدي) .

قلت : أصبت يا صديقي الجبل (اكتشفت آنذاك أن المسألة
ليست بضخامة الجبل) .

ثم قلت : عليّ أن أحمّد الهدف الذي سأتوجّه إليه قبل أن أمشي .



قال مروان : وهل من الضروري للإنسان أن لا يشي إلا إذا حُدَّ سلفاً
المكان الذي سينتدّه ؟

قلت : طبعاً يا مروان .. الإنسان دائماً يكون له هدف يتوجّه
نحوه .. (ونظرت إليه وهو يمدّ رأته من جيبي فادركت أنه لم يفهم
قصدتي) ..

لاحظ الجمل أن مروان لم يفهم قصدتي فقال له :

« النحلة حين تطير من خليتها تتوجّه نحو هدفٍ مُعيّن هو :
الزهرة التي تستع من الرحيق .. واطفل حين يفادر بيته في الصباح
يتوجّه نحو هدفٍ مُعيّن هو : المدرسة التي يتعلّم فيها .. وأنا الجمل مثلاً ، لو
أخرجني أبوك من هذا البئ (يقصد الطربوش المقلوب) فإني أتوجّه
بكم إلى مكانٍ جميل جداً فيه مدرسةٌ عجيبةٌ للجمال وفيه أيضاً
مدرسةٌ للحمير يتعلمون فيها الصبر ، ومدرسةٌ مذهبةٌ للفولان والنمور فقط
حيث يتعلمون فيها حركات القفز العالي والوثب السريع » ..

أخرجني الجمل بكلاميه هذا فأخرجته من الطربوش ووضعت على
الأرض .. وقلت لنفسي : (هذا الجمل فيلسوفٌ ظريف) .. وأخرجت مروان



من جيبي (سحبت برقي شديد) ووضعت على الأرض ، بينما واصل الجمل كلامه
قائلاً :

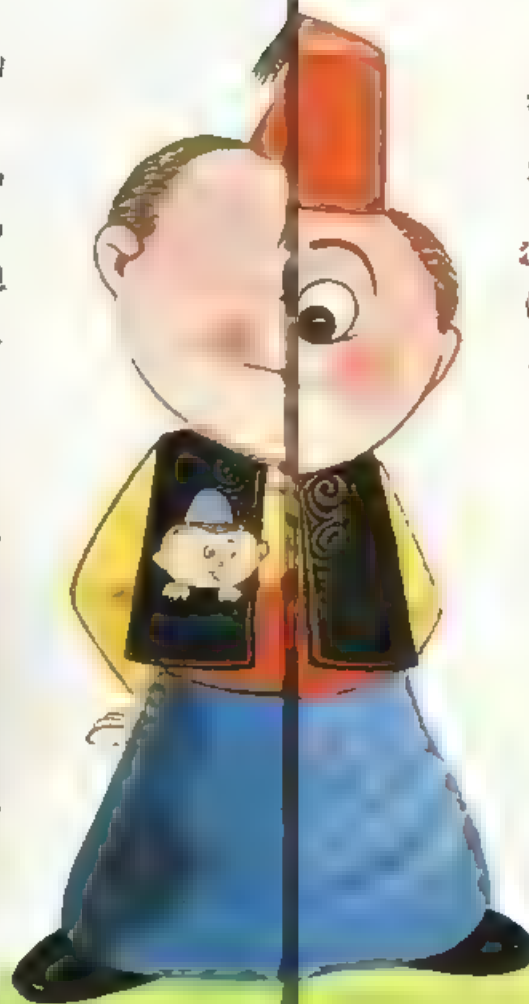
— وهكذا فإنه ما بين إنسانٍ أو حيوانٍ يتحرّك أياً حركة
إلا وله هدفٌ ما .. فهو يتحرّك في سبيل تحقيق ذلك الهدف ..
فقاله مروان : تريد أن تقتنسي بأنه لا فرق بين الإنسان والحيوان ؟
لا .. هذه كثيرة ..

ضحك الجمل وقال : طبعاً هناك فرقٌ في نوع الهدف بين الإنسان
والحيوان .. فالحيوان يتحرّك نحو هدفٍ مادي ، كالأكل والشرب
وما شابه ذلك .. إنه يريد أن يعيش فقط .. أما الإنسان فله — بالإضافة
إلى الأكل والشرب — يتحرّك نحو أهدافٍ نبيلةٍ وسامية ، مثلاً .. يريد أن
يصبح عالماً كبيراً لينقذ الناس بوليّه .. يريد أن يصبح قائداً كبيراً
ليزيد من جمال الحياة .. أنت مثلاً : ماذا تريد أن تكون ؟

قال مروان : أريد أن أصبح أعظم متباح في البلاد .. وحين أذهب
إلى المسج أريد أن يسحوا لي بأسباحة في بركة الكبر ، فافتر من على
المنصة العالية ، وأطلق المسج كله ذهاباً وإياباً ..
قال الجمل : كانتك لم تفهم سؤالِي .. قلنا أحب أن أعرف
ماذا ستعل حين تكبر وتصبح رجلاً ..
أجاب مروان : أريد أن أصير أباً ..

فضحك الجمل ضحكة قوية رجواحة جعلت كل جديده يتر .. حتى
إن الخرجير مالا من فوق قبيعه ، ثم قال لمروان : ولماذا تريد أن تكون
أباً ..

أجاب : حتى أشتري لابني جبلاً عريضاً ياخذ في رحلة مثل هذه
الرحلة العجيبة ..



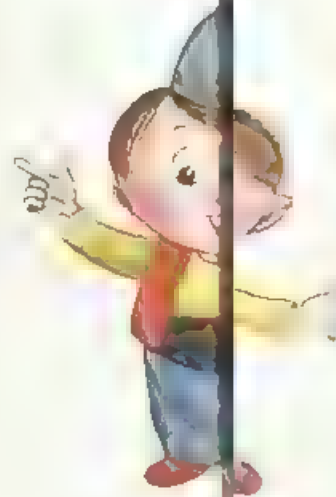
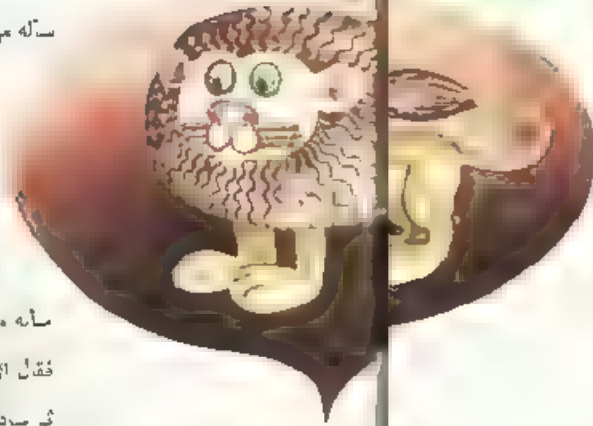
كلُّ هذا وأنا لم ألاحظ أن الجمل ومروان .. خلال ذلك قد كبرا حتى عادا إلى حجبيهما الطبيعي ، وصرت أنا أصغر تدريجياً وأحسُّ بالجوع في الوقت ذاته . وكنت كلما جئت أكثر صُغرت أكثر . وهكذا حتى صرت بحجبي الطبيعي (حجم الأب) . وخشيت أن أصغر أكثر من ذلك فمددت يدي إلى الخرج الأيمن فوجدتها فارغة لم يبق فيها ولا ثمرة واحدة .. مما جعلني أشعر بالقلق والاضطراب .

ومما زاد من قلتي واضطرابي أنني سمعت صوت رثير أصلي من بعيد .. وكان رثيراً قوياً مثل صوت الرعدة ، وخصوصاً وأنا - ونحن ما نزال في مكاتبنا في قصر الوادي الصيق - كنا نسمع صدى هذا الرثير يأتي من جيبتي الوادي (تعرف أن الصوت إذا اصطدم بالصخر يرنُّ ويُحْيِي صدى) . وعندما رأينا الأسد واقفاً هناك تحت القنطرة ، عند مدخل الوادي ، لاحظنا أنه كان يعجل مكبرة صوتٍ ويزارُ فيها (أنفك فهمت ست قوة صوته) .. إذن فقد رجع الأسد لحيف دأبه . ومن يستطيع الخروج من هذا المأزق الخطير .

فصرخ مروان بأعلى صوته : لن نخيفني أبشاً الأسد .. فأنا أقوى منك ، لأن عقلي أكبر من عقليكَ .

من المؤكد أن الأسد لم يسمع هذا التحدي ، رغم أن مروان قال له صرخاً بأعلى صوته . لذلك أخرج الجمل من خرجه مكبرة صوتٍ ونعلماها لمروان حتى يبدأ القتال ، إذ من الواضح أنها سيتعاركان بمكبرات الصوت بدلاً من السيوف .

ولكن مروان قال في مكبرة الصوت : إنمَّ أيها الأسد . سَد .. سَد .. سَد (بسبب الصدى) سوف أطرح عليك سبعة أسئلة له .. له .. له .. فليذا عرفت أجوبتها تأتي للمشاركة بقوة الأبدان .. دان .. دان .. دان .. ولذا لم تعرف أجوبتها تسحب وتوسع لنا الطريق .. ريق .. ريق .. ريق ..



فأجاب الأسد من مكاتبه : أنا موافق .. فحق .. فحق .. فإطرح أسئلتك .. تَت .. تَت .. تَت .

سأله مروان : هل تعرف كيف تُعَدُّ من الواحد إلى العشرة ؟ رَد .. رَد ..

أجاب الأسد : لا أعرفه .. رَف .. رَف .. رَف ..

سأله مروان : هل تعرف كيف ترسم سيارة سريعة جداً ؟

وهل تعرف كيف تقودها ؟ ها .. ها .. ها .. ها ..

أجاب الأسد : وهذا يعني سيارة ؟ رَد .. رَد .. رَد ..

سأله مروان : هل تعرف أن الإنسان لا يتحرك إلا في سبب هدي معين ؟

فقال الأسد مستغرباً : وسأدا يعني « هدف » ؟ دَف .. دَف .. دَف ..

ثم سأل لحنه : أدركت بعد أن مروان لم يبق شيء أسئلة ؟ فهمت في أدنيه قائلاً : سألته عن الشباق والزماطة والبطا .. فخرج مروان بهذا التيه وعاد يسأل الأسد بجزأ وحمة : هل تستطيع أن تسح في يوكية طولها خمسون متراً ؟ رَن .. رَن .. رَن ..

أجابه : لا ..

فقال مروان : هل تعرف كيف تتسع بزيادة عصافير ؟ فِير .. فِير .. فِير ..

وهل تعرف كيف تصطاد بها المصاير من على الأشجار ؟ جَار .. جَار .. جَار ..

قال الأسد : لا ..

فطرح مروان سؤاله الأخير الذي يشبه القربة القاضية في لعبة

الملكة : يا حضرة الأسد .. هل تعرف ما هي الطماطة ؟ ط .. ط .. ط ..

لم ينطق الأسد بأي جواب وخصوصاً أنه لم يعرف ما هي الطماطة

حتى لو قلَّ يهتو فيها عشرين سنة .. فرمى آلة تكبير الصوت من يده

والصحب بكل حذوهم متبعين حتى اختفى عن أنظارنا .. فاهبت على مروان

لأحضنه بحرارة واعتزلي وول له : كيف لم نخف من ذلك لأسد ؟

ضحك مروان وقال : لو أنك فعلت مثلي فتشاهد أفلام الكرتون في التلفزيون ، لاحظت أن هذا الأسد ليس أسداً حقيقياً ، بل هو من جماعة أفلام الكرتون ، بدليل أنه يستخدم آلة تكبير الصوت .. أليس كذلك ؟

نظروا إلى جملتنا العزيز فوجدناه جالساً يفكر ، ويحده على يديه .. ثم نظر إلينا وقال : كل أسئلة مروان عرفت أجوبتها .. إلا سؤاله السابع .. أخبروني : ما هي الطائفا ؟

فقال مروان على الفور : الطائفا شيء مثل السكركب .

فسأله الجمل : وما هو السكركب ؟

أجاب مروان : السكركب شيء جميل جداً يحبّه أولاد حارتنا ويحدثون عنه عندما يركب كل منهم قسيّة أو سحفة نخل ، باعتبار أنها حصان وهمي ، ويتسابقون راكضين فوق خيولهم وهم يفتنون هذه الأغنية :

غزالة غزلوك

بالماء دملوك

قاعده على الشط

قاعده تمشط

قال لها : قومي

هذا حمامك

أشده واركب

على السكركب

سكركب البرية

غنتى مروان هذه الأغنية غناءً جميلاً أعجب صاحبنا الجمل إذ قال : الحقيقة أنها أغنية جميلة . ولكنني لم أفهم منها إلا أن السكركب شيء موجود في البرية .. إذن اركبوا على ظهري لأخذكم إلى برية جميلة جداً ، فإذا رأيتم السكركب قولوا لي : يا جمل هذا هو ..

وركبنا الجمل وذهبنا إلى البرية .. فلماذا وجدنا ؟



مشى بنا جعلنا الطريق مهيته سادية بسيطة • وكان مروان ممسكاً
بالرسن وكنته أنا راكباً خلفه • وكنا نهرش إلى الأسماك وإلى الغلظ
كلب حبب ليحس حلوته • ويبدو أنه جبتنا الذكي أردنا لما - من مية
الطينة - أن نستمتع بمناظر الطبيعة الخلابة في هذه البرية التي جبرها •
مقد كانت الأرض مغطاة بأعشاب خضراء تصل إلى ركبتي الجبل • وكانت هذه
الأعشاب احضرت أيلولة تحمل أزهاراً عديدة عذبة في حماتها وهي تمتد
على مد النظر • هسهسل كلّه وانتالال مغطاة بسطح واسع من الأزهار
فاتر الألوان الساحرة ••

وكنتم نمر بأشجار لم نر مثلهما في حياتنا •• مثلاً نمرنا بشجرة
كبيرة ثمارها من زجاجات البصير التي يحبها الأسماك •• كانت أفصاف
الشجرة ممشة بالزجاجات المدلية خالقة •• هذه رجعة عصير يرتقل ••
وتلك عصير ليمون •• ومشمش •• وخوخ •• وكولا •• وتوت •• وكل
زجاجة أشهى من الثانية •

وكنّا لا نستطيع أن نخفي عدد الزجاجات في كل شجرة لكثرتها ••
فقال مروان : لنأخذ بذرة منها نزرعها في حديقة بيتنا • فبذره
شجرة عظيمة •

فقلت : ليتنا نعرف اسم هذه الشجرة •

قال : اسمها الشجرة العظيمة وكفى ••

وكان جملنا الصامت - وهو ما يزل يمشي - قد وصل بنا إلى
طريق مخدع لثقله ماء ضافية زرقاء • وعلى طرف الصفاة ضفدع خضراء تنظر
إينا بعيونها اللامعة وتقول : ياق •• ياق ••
وبقرّب الصنادع التي تطل تقول ياق ياق نبت عيدان قصب خضراء
طويلة •

فقال مروان : هذه عيدان ذرة خضراء • وأنا أحب العرائس ••



فقلت له : يا هذه عيدان قصب •• وشكل عود البندقية يشكّل
عود القصب •• ولكن عود البندقية يجعل عرائس بدينة ومعذبة •• وعود
القصب لا يجعل أية كسرة •• وإنما يُستفاد منه في أشياء كثيرة •
قال مروان : أعرف ذلك •• فمن عود القصب تصنع القارات أي دواليب
الهواء •• ولو كنتم من سكان هذه المنطقة ، وعندك كل هذا القصب ، لتفتح
مصنعاً كبيراً لإنتاج القارات •• فاصنع قارات كثيرة ملونة وأصعها على دراجتي
وأقود الدراجة مسرعاً فتدور كل القارات فاطير •• وأقرع جرس النواجة
حين امش في الشوارع : ربي •• ربي •• ربي •• وأبدي : « لعنرات ••
قارات » فيأسي الأطفال فأعطي كلاً منهم قرادة فيرحلون كثيراً •

سألك : وإذا لم تكن معهم تقود ؟

أجاب : هذا أعطيه قرادة فيطير ككرة مثلاً •• وهذا أعطيه قرادة
فيطير جرساً عتيقاً أو قراسة • أو صورة ، أو أي شيء •



وكذا قد وصلنا ، في هذه السَّيْرَةِ المدهشة ، إلى شجرة ضخمة جداً وعجيبة جداً ، فقد كان ساقها من الحديد ، مثل الأبواب ضخمة ، وكانت أغصانها من فضياني الألمنيوم ، وكانت أوراقها من صفائح القصدير الذي يلعب وكأفقه فضة ، وكانت لبراعمها سيارات صغيرة مونة وطائرات صغيرة ، وفطارات ، وعربات ، وجوالم ، وعَلَبَ فسق ، وأقلاداً مونة ، وكُتُباً وكُرَاتٍ حمراء لامعة ، وأشياء كثيرة أخرى .

فسمعت مروان يقول للجنل ليوقف عن المسير ، وقال : هذه هي الشجرة العظيمة فعلاً سأقطف منها غصناً لنزرعه في دارك .

لكننا توجعنا بالجمل يتمم إيد ويقول : الآن نرودك ما سوف يحدث .
وبالفعل فقد رأينا عدداً كبيراً من الساجب ، تنقو بين أغصان الشجرة بهارة ورفاهة . ثم نظر لب وتضحك . وكان تحت الشجرة أيضاً عدداً كبيراً من الفناير التي راحت تتخرج مثل كرات من الأشواك . فقال مروان : كان هذه الساجب والقنفذ تريد أن تخبرنا بأنَّ لمَّس هذه الشجرة ممنوع .

فقال الجنل - بعد أن صت كل هذه المدة - « يُعْجِسي دكاؤك يا مروان » . وتابع ستيه إلى أن وجدنا أنفسنا قُربَ قرية جميلة جداً كانت تتوَّجُّ بالأغصاء من بعيد (لأنَّ الشمس غابت من زمن) . وكنا نسمع من ناحية القرية أصوات طبل ومزامير ، فأدركنا أنَّ الجماعة يحتفلون بموسم عظيم ، وربما كانوا يرقصون الدبكة بشاهم الرشيعة الجميلة التي تلمع كثيراً . فصرنا نسمع أصوات زغاريد أيضاً .

وعند مشارف القرية استقبلنا فوجان من الأتصال الذين يرتدون ثياب العيد . فوج أولاد وفوج بنات . وكاسوا واقيس في صقير متفانين يلوَّحون لنا بالأزهار ويتنون أغنية أحبا لنا كثيراً .

كانت البنات يشدن هكذا : مَسِيكَم بالخير يا عمار المارة .
فيرد عليهم فوج الأولاد وهم يتنون هكذا : مَحْبِكَم بالخير يا عمار لغسارة .

وكانت أصواتهم جميلة وكان بناؤهم بديعاً .

وكانت نواغذ القرية مزينة برسوم ملونة جسة ، رسوم جمال وخيول ونزلات وأزهار متعددة الأشكال . . وكانت تتدلى من كل نافذة نجادة حمراء أو بساط ملون جميل جداً . . وكان الناس يطلون من النوافذ



وهم يقولون بفرح عظيم : « وَصَل العريس .. جاء العريس » .. وهم
يُفرون إلينا .. فظننتُ أنهم يقصدونَ الجبل ، وخصوماً أن الجبل كان
يمشي مُتَحَرِّراً بنفسي متباهياً بحاليه وإسارات السعادة والفرح ياديةً عليه »
ولكن الذي حصل أننا عندما نزلنا من على ظهر الجبل أقبسل
الأطفال على مروان مُرحِّين به ، وتجمَّعوا حوله بحيث اختلطت جوقته
الأولاد بجوقة البنات .. رغم أنهم ما يزالون يغنون أغنيته الجميلة وهم
يمشون في هذا الموكب البديع مُحيطين بمروان من كل جهة حتى ما علت
أراهم .. والجبل أيضاً ذهب لا أدري إلى أين ..

وحين وصلنا إلى ساحة القرية المليئة بالزينات والأضواء والناس
والطبول والمزامير وحلقات الدبكة ، لاحظتُ أن أفسراد جوقة الأولاد
عادوا فانتظروا في صفوف متناسقة ووقفوا فوق مصطبة تظلها شجرة مينة
بالمصاييح الصغيرة الملوَّنة ، وهم يغنون : الله مصيِّحك بالخير يا عمار القمارة ..
ووقفَ فوج البنات مُقابلهم تناساً ، على يسار الساحة ، عند جدار تدلُّ
منه أغصان ياسمين ، أزهارها يضاء مثل نجوم الليل ، وهن يغنين :

الله مصيِّكم بالخير

يا عمار القمارة »

فيرد فوج الأولاد وهم يغنون : ما تطونا بتكم

يا عمار القمارة

فترد جوقة البنات ، غناء : ما تطيكم هيه

إلا بالف وميه

إلا بضم الألس

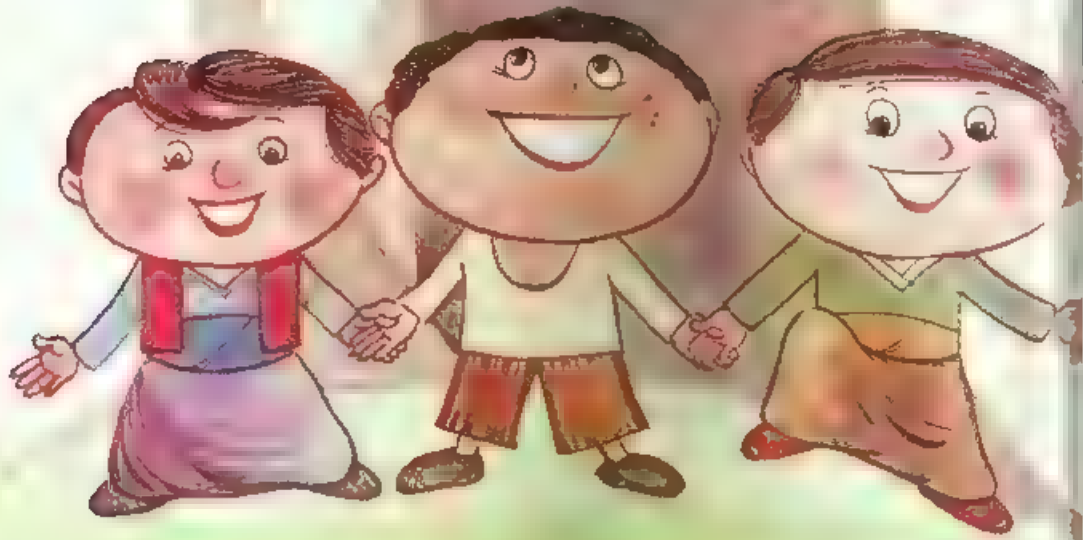
دّوار الصّنيه

فيخشي الأولاد ... : نبر على بابكم

ونكسر أعتابكم

والشمع دّواركم

عروستنا هيه



آنذاك هجم مروان ، الذي كان طويلاً الوقت ينمي مع فوج الاسفل
دون أن أدري ، فاعترض بسرعة نحو عريشة الياسين قبالة ، فامسك بيد
بنو جيلة ولطيفة تشبه الفراشة . ولاحظت أن مروان صار شاباً أمير عربي
جبل ، فقد كان يرتدي عباءة هبة مطرزة بخيوط الذهب .. وبنطلي رأسه
بكوفية بيضاء ، من الحرير الثمين حتماً ، عليها عقلاً مقصب . وكان معه
سيداً أيضاً .. وسمعت الناس يقولون وهم يشيرون إليه بأعجاب
شديد : « انظروا ما أجملته » كم هو غندور .. « وتحدثت كلمة « غندور »
على الألسنة كثيراً . (ربما يعنيون بها : جميل جداً) .

أما البنت العالوة التي سحبتها من تحت عريشة الياسين ، فقد
لاحظت انه تحمل بيدها منديلاً أبيض مزرّكشاً بخيوط انقصب . ورغم أنها
تشبه الفراشة كما ذكرت من قبل ، صرّتي رأيت وجهها يشبه وجه علة
الذي لمرأه في سطور الكتب القديمة . إذ أن عينها الجميلتين مكحولتان
يكحل أسود واضح ، مما زاد في جمالها .. والغريب أن أهل القري
حملوها وأجلسوها فوق الجدار ، كانوا يقولون : « ها قد سئمناها
على الحائط » .. وفي الوقت ذاته جاءت فرس بيضاء جميلة جداً فوقت
أمام مروان كأنها تقول له : « شبيبك ليك فرسك بين يديك » . فقال لها
مروان : « دوري » . فراحت الفرس تدور في الساحة ، وكلما دارت دورة تنظر
الى مروان فيقول لها « دوري » .



فقلت : ما أعجبَ هذا ؟ من أين جاءته هذه الفرس ؟
 فسمعتُ رجلاً يُخبرني : هذه فرسه .
 وأكد لي ذلك رجل آخر قائلاً : نعم .. هذه فرسه .
 آنذاك انطلق الأولاد والبناتُ معاً في أغنيةٍ مطلعها : « فرسه ..
 فرسه » . كانت أجمل أغنيةٍ سمعتها في حياتي . ومن حينَ الحظ أنسي
 حفظتُ كلماتها رغم أنسي أنسي كثيراً ..
 فرسه فرسه

يقول لها : دوري
 يا مخزومة بالتص
 والشاب غندوي
 يا ليتني دودة
 عاليط مصودة
 عروستك يا مروان
 مكحلة ومصوجة
 ليقة على ليفة
 صاحبة الندار نظيفة
 طاسة على طاسة
 صاحبة الندار الماسة



وما إن وصل الأطفال في أغنيتهم الجميلة إلى هذا الكلام حتى سمعوا صوت رنين طاسات يشبه رنين طاسات بائع القيق سوس .. نظرنا إلى مصدر الصوت عند مدخل الساحة فإذا بنا نرى الجمل مقبلاً في موكبه احتفالي عظيم . فقد كان فوق ظهره هودج كبير ، يشبه هودج أميرات العرب في سائر الزمان ، وفي الهودج رأينا سيدة جالسة باعزاز ، ومهما كميأت من اللبى والطاسات .. وكانت تشر كئى اللبى على الناس بفرح وسرور ، وكانت تشر الطاسات أيضاً فيتلقتها الناس بفرح أعظم .. أمّا الأطفال فقد كانوا يتسابقون إلى أخذ الحلويات التي تحتويها الطاسات .

وحين أنشأ الجمل ونزلت من قلب الهودج تلك السيدة أم الهديسا والظبا صرخ مروان بفرح لا يوصف : « هذه أمي » . وهجم عليها بسرعة وضم رأسه إلى صدرها بقوة وهو يقول : « أمي .. حبيبي » ..

ثم ابتسم وقال لها مازحاً : « ميو .. ميو » مقلداً صوت قطبة صغيرة جداً .. على أن صوت مواير القطر استمر بعد ذلك زمناً .

حين أقت من النوم وفتحت عيني لأرى من أين جاءت كل هذه القطر الصغيرة التي تقول « مياو .. مياو » .. رأيت مروان واقفاً جسد سريري وهو يحمل سلة فيها خمس قطط .

قال مروان : أمي جلبتها لي من عند الجيران .. ألعب بها ثم أعطيها إليهم .

فأله : والجمل ؟

قال : أي جمل يا أبي ؟

فأدركت أبي كنت في حلم غريب ، غير أبي لم أخبر مروان بقصة الجمل حتى لا تقع في إشكالات جديدة . لذلك أرجوكم يا قرائي الأعزاء أن تخبروه أتمم .. فأتهم تعرفوه : إنه طفل عمره سبع سنوات يكلم الأوهار ويصاق الحيوانات ويمد يده ليطعم النجوم ، وعيشه لا يرى في هذه الدنيا إلا الجمال .



مكتبة الطفل
دائرة ثقافة الاطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

السلسلة القصصية

٣٩

رسم الإبداع في المكتبة الوطنية بغداد
(١٠٠٩) لعام ١٩٨١

